*PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(3): 762-773*
*ISSN: 1553-6939*

# *Poems of Andalusia between excellence and creativity*

**Dr. Israa Al-Heib [1*]**

[1:] University of Algiers2 (Algeria) ، **israahb2019@gmail.com**

Received:05/04/2024 ،Published: 12/06/2024

**ABSTRACT:**

*Prepare Andalus The mirror of Arab-Islamic civilization, it emerged In which Poets and poets Whose They enriched in the culture Islamic And Arabic Generally, And I had luck Poems Andalus In turn Important And strong in industry literature And culture, as well Their contributions had an impact unique in Enrichment Heritage Andalusian, to leave Fingerprints Strong Reflect culture And art Andalus .*

*History has been witnessed Andalusia throughout Existence number big from Poems Talented women Lati Enjoy With abilities Exceptional in the hair And literature, And from Among these Poems Pioneers : Aisha Al-Qurtubiyya , that I wrote Poems In praise, the features of strength and features of fertility appeared in her poetry in the virgin poetic style. The poet Hafsa al-Hijazi, the first Andalusian woman to recite ghazal, in a form of delicate pronunciation, skillful form, and sweet rhythm, and the names of poets continue . Others in Andalus He was their Role big in development the hair And literature, Such as Maryam Al-Shalabi, Umm Al-Alaa Al-Barbariya, Walada Bint Al-Mustakfi, Mohja Al-Qurtubiyya , Hafsa Al - Rakuniyya , and others, and their poetry ranged between solemn, modest and sober, and between reckless and frivolous. But did they, between this and that, impose their presence on the literary life in Andalusia, and did they constitute a prominent feature of Andalusian poetry in terms of speech, form, and music? Perhaps this problem will prompt the student to consider their poetry, examining it and discovering the reasons for novelty and enjoyment in it , and will lead to recognizing the virtues of poetry. Poems In distinction literature Andalusian Strongly Expression And depth Intellectual . Lost He was For their poems Effect big in Readers and listeners, where touched Feelings It reflected the culture Andalusian in a manner Smooth Funny .*

*And the truth That's what's wrong Andalus may be Accomplished Jobs lattice Exceptional And leave Fingerprints Strong in the date literary, and that Their dedication And their talent in art Word Contributed in Enrichment Heritage Andalusian And enhance Feeling By identity cultural, Therefore This research was a way to appreciate their legacy Cultural that He deserves Study and questionnaire.*

**Keywords:**
*(Poetry - Andalusia - Heritage - Literature - Cultural Identity - Literary History)*

# شواعر الأندلس بين التميز والإبداع

د. إسراء الهيب *

[1] جامعة الجزائر-2-، الجزائر، israahb2019@gmail.com

**الملخص:**

تعد الأندلس مرآة الحضارة العربية الإسلامية، نشأ فيها الشعراء والشواعر الذين أثروا في الثقافة الإسلامية والعربية عمومًا، وقد حظيت شواعر الأندلس بدور مهم وقوي في صناعة الأدب والثقافة، كما كان لإسهاماتهن أثر فريد في إغناء التراث الأندلسي، ترك بصمات قوية تعكس ثقافة وفن الأندلس.

وقد شهد تاريخ الأندلس على امتداده وجود عدد كبير من الشواعر الموهوبات اللاتي تمتعن بقدرات استثنائية في الشعر والأدب، ومن بين هؤلاء الشواعر الرائدات: عائشة القرطبية، التي كتبت قصائد في المدح، فتبدت سمات القوة وملامح الخصوبة في شاعريتها على النمط الشعري البكر. والشاعرة حفصة الحجازية، أول أندلسية تقول الغزل، في قالب رقيق اللفظ، بارع الصوغ، عذب الإيقاع، وتتوالى أسماء شواعر أخريات في الأندلس كان لهن دور كبير في تطوير الشعر والأدب، من مثل مريم الشلبي، وأم العلاء البربرية، وولادة بنت المستكفي، ومهجة القرطبيّة، وحفصة الرّكونية، وغيرهن، وقد تراوح شعرهن بين جزل محتشم رزين، وبين ماجن متهتك عابث. ولكن هل كن، بين هذا وذاك، قد فرضن وجودهن

على الحياة الأدبية في الأندلس، وهل شكلن ملمحا بارزا من ملامح الشعر الأندلسي من حيث القول والصوغ والموسيقا؟ لعل هذه الإشكالية تدفع الدارس إلى الوقوف عند شعرهن فاحصا مستبينا ما فيه من أسباب الجدة ومظاهر الإمتاع، وتفضي إلى التعرف على فضل الشواعر في تميز الأدب الأندلسي بقوة التعبير والعمق الفكري. فقد كان لقصائدهن أثر كبير في القراء والمستمعين، حيث لامست المشاعر وعكست الثقافة الأندلسية بأسلوب سلس وطريف.

والحق أن شواعر الأندلس قد أنجزن أعمالًا شعرية استثنائية وتركن بصمات قوية في التاريخ الأدبي، وإن تفانيهن وموهبتهن في فن الكلمة ساهم في إثراء التراث الأندلسي وتعزيز الشعور بالهوية الثقافية، ولذلك جاء هذا البحث سبيلا لتقدير إرثهن الثقافي الذي يستحق الدارسة والاستبيان.

**الكلمات المفتاحية:**

( شواعر – أندلس – تراث – أدب - هوية ثقافية – تاريخ أدبي )

**- مقدمة:**

طالما كانت المرأة مرآةً تعكس صورةُ المجتمع، وتتبدى في أفعالها وأقوالها أصداء مجتمع بأكمله، أنظمته السياسية والاقتصادية والثقافية، وتشكل المرأة عبر الحقب التاريخية المختلفة دورا فاعلا في صوغ ذاكرة الأمة وقضاياها المختلفة، كما تبرز في مجالات الأدب من شعر ونثر ومناظرات ومساجلات وغير ذلك من مظاهر الفكر والمعرفة، لتُشعَّ في شتى المجالات الحياتية مظاهرَ التحضر المرتبط مباشرة بالثقافة والعقل العربي.

وتُعرَّف الثقافة على أنها مجموعة من القيم والمعتقدات والتقاليد والعادات والسلوكيات التي يتبعها الأفراد أو مجموعة من الأشخاص، وتشمل اللغة والفنون والأدب والموسيقى والعلوم والمعمار والديانات والطقوس والتقاليد والأعراف الاجتماعية من الملبس والمأكل وجميع أنماط الحياة والتفكير، وقد يؤثر كل عنصر من هذه العناصر على تشكيل الثقافة الفردية والجماعية، التي تقوم بدورها في تحديد هوية المجتمع وتشكيلها[1].

لذا فإن العودة إلى التاريخ الأندلسي ومجتمعه يشكل خطوة أساسيّة لفهم عناصر الهويّة العربيّة الإسلاميّة، حيثُ لا يُمكن إقصاءُ أكثرَ من ثمانية قرون من الحضارة خارج التفكير في الهويّة الحضاريّة للعرب اليوم، كما لا يُمكن أن يظلّ التراث الثقافي الأندلسي بعيدا عن الأجيال العربيّة التي من حقّها أن تطّلع على الثروات الرمزيّة التي تركتها الحضارة الأندلسيّة في الحضارة العربيّة أوّلا وفي الحضارة الإنسانيّة ثانيا.

وفيها قال أبو عبيد البكري: الأندلس شاميةٌ في طيبها وهوائها، يمانيةٌ في اعتدالها واستوائها، هنديةٌ في عطرها وذكائها، أهوازيةٌ في عظم جبايتها، صينيةٌ في جواهر معادنها، عدنيةٌ في منافع سواحلها، فيها آثارٌ عظيمةٌ لليونانيين أهل الحكمة وحاملي الفلسفة[2].

[1] علم الاجتماع الثقافي: 20-21
[2] نفح الطيب: 128/1

ولعل أهمّ مكتسبات الحضارة الأندلسيّة أنّها تعاملت مع الإرث الثقافي العربي السابق عليها، حيث أدرك الأندلسيّون أنّ لكلّ مرحلة حضاريّة تحدياتها ومقوماتها، وأن العلم يعد من بين أهم تلك المقومات التي أثرت الثقافة الأندلسية بالنتاج العلمي الفكري والأدبي بكل فنونه.

**المرأة الأندلسية والمجتمع**

وقد كان للمرأة العربية الأندلسية دور مميز في ازدهار الثقافة وتطور المجتمع ، فهي نتاج أعراق متباعدة، حيث تزوج الجيل الأول من الفاتحين العرب إسبانيات أو بربريات، فولّدن جيلا ليس عربيا محضا ولا بربريا ولا إسبانيا، فضلا عن أهل البلاد من القوط الذين أسلموا وانخرطوا في المجتمع الجديد، وتوالت الأجيال المختلطة الأعراق، والتي ابتعدت إلى حد كبير من أعراف البداوة وتقاليدها، وانفتحت على مختلف أوجه الحضارة، شملت حواضر الأندلس الكبيرة كقرطبة وإشبيلية وغرناطة وغيرها من مختلف أرجاء الأندلس، كما حظيت المرأة الأندلسية بشيء من الحرية قلما حظيت به أختها المشرقية، غير أن حال المرأة الأندلسية كان يختلف باختلاف الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها، فهناك نساء الطبقة العامة يختلفن عن نساء الطبقة الخاصة، أي الطبقة الأرستقراطية، وهي بدورها تنقسم إلى نوعين: حرائر وجوارٍ، أما الجواري فهن نوعان : جواري الخدمة اللواتي يستخدمن في القصور، وجواري المتعة اللائي يستخدمن لتسلية أسيادهن وجلب المتعة إلى نفوسهم بمختلف الوسائل، وكن على وجه العموم يُثَقفن ثقافةً خاصة تساعدهن على أداء واجباتهن.[3] غير أن النساء الأندلسيات سواء كن حرائر أو جواري شاركن في إثراء المعرفة والأدب والثقافة في الأندلس، وإن كانت الحرائر والسيدات أكبر أثرا، إلا أن الجواري كن أبعد أثرا.

لذا كان التعليم الباب الواسع الذي دخلت منه المرأة الأندلسية عامة، وتميزت به عن غيرها، حيث شاع تعليم البنات لدى الأندلسيين بمختلف طبقاتهم، فكان يسمح لهن أن يتعلمن في المدارس حالهن حال الصبية في كل العلوم منها: القرآن الكريم والحديث الشريف واللغة العربية والخط بأنواعه وأشكاله والأدب والشعر والفقه والحساب وغير ذلك. فضلا عن الرعاية التي خصصها الأمراء والخلفاء لهن، وتشجيعهن من خلال إغداق الأموال عليهن، وتحفيز العلماء لتعليمهن وما يمثل ذلك من رقي علمي وتمدن حضاري[4].

وقد ظهرت منهن العالمات في الشؤون الدينية والحافظات للقرآن، "فكان في الأندلس ستون ألف حافظة للقرآن، ترفع كلُّ واحدة قنديلا فوق باب بيتها في الليل إشارة إلى أن هناك حافظة"[5]، وذلك من باب التميز على غيرها.

ومنهن كاتبات الأمراء والخلفاء مثل مزنة كاتبة عبد الرحمن، وهي كاتبة حاذقة ومن أجود الخطاطات في الأندلس، ولبنى كاتبة ابنه الحكم المستنصر، وكانت خطاطة وعروضية وبصيرة بالحساب[6]، ولم تخل الأندلس من نساء كانت لهن مشاركة

[3] المرأة الأندلسية: 45
[4] جذوة المقتبس : 412-414
[5] شعر المرأة الأندلسية : 10
[6] الصلة :2/ 692-693

في العلوم، مثل الطب والتمريض، مثل أخت الحفيد بن زهر وابنتها، فقد كانتا عالمتين بصناعة الطب، ولهما خبرة جيدة في مداواة النساء[7].

كما اشتهرت في الأندلس غير شاعرة حتى إن المقري يترجم في كتابه نفح الطيب لعشرين منهن، مثل حسانة التميمية وقمر وعائشة القرطبية، وحفصة الحجارية وغيرهن.

ويبدو أن كثيرا من النساء وخاصة في البيت الأموي كن يتقن أرقى الآداب الاجتماعية مع حيازتهن للثقافة ونظمهن للشعر مما أعدّ لظهور شاعرة قرطبة ولاّدة بنت الخليفة المستكفي، واتخاذها في قصرها ندوة أدبية كان يحضرها الشعراء والأدباء وكبار الساسة. وكانت هناك سيدات من البيوت الرفيعة تحذو حذو ولاّدة في اتخاذ ندوة أدبية لها، حتى في عهد المرابطين الذين عرف عنهم التحفظ والتزمت، إذ نجد سيدة شريفة من بيتهم تدعى السيدة حواء زوجة سير بن أبى بكر-الذى مهّد بحسن قيادته ليوسف بن تاشفين وحكم إشبيلية اثنين وعشرين عاما-تتخذ لنفسها ندوة مماثلة لندوة ولاّدة، وعلى شاكلتها وشاكلة ولاّدة تلقانا حفصة الرّكونية وندوتها الأدبية في عصر الموحدين[8].

**الشاعرة الأندلسية وتنوع الأغراض الشعرية**

لقد تمتعت المرأة الأندلسية بكامل حريتها في ظل بيئة جديدة، كان لها الأثر الكبير على شخصية الشاعرة الأندلسية، الأمر الذي جعلها تقول الشعر في جلّ فنونه وأكثر أبوابه، فكانت تتغزل في الرجل كما تغزل فيها، وتمدح وتفخر وتهجو دون أن تتورع من ترديد بعض الألفاظ غير اللائقة في بعض الأحيان، ونظمت أشعارا رقيقة في الشكوى وبث الآلام، وفي الحنين والتهنئة، ولها كذلك في المداعبة والفكاهة والشعر القصصي وغيره[9].

ورغم أن شواعر الأندلس قد أفسحن لشعرهن مكانا رحيبا، وفرضن وجودهن بصورة لم تحدث لزميلاتهن في المشرق، غير أنهن ارتبطن بمشاعرهن وحرّكتهن عواطفُهن، فانعكس ذلك في نتاجهن الشعري كما سنرى.

ولعل غرض الغزل هو أول ما يعترضنا أمام شعر المرأة الأندلسية التي لم تكن " تعنى بشيء مثل عنايتها بما له علاقة بشخصها وقلبها"[10]، لذا تراوح شعرها الغزلي بين العفيف والصريح، أما العفيف فقد قيل برقة وحشمة مع براعة صوغ وعذوبة إيقاع، ونجده عند حفصة الحجارية من القرن الرابع بقولها[11]: [من الخفيف]

**لـي حبيـبٌ لا ينثني لعتـابِ وإذا مـا تركتُـه زادَ تيـها**

**قـال لي هـل رأيـتِ لي من شبيهٍ قلـتُ وهل تـرى لي شبيها**

ومن ذلك قول الشاعرة البلسيّة نسبة إلى بلس، وكانت بكرا في دار أبيها، قالت[12]: [ من مجزوء الرمل]

**لي حبيبٌ خدُّه كالـور دِ حسناً في بيـاض**

[7] عيون الأنباء في طبقات الأطباء: 70/2
[8] تاريخ الأدب العربي(الأندلس) :53
[9] ينظر الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: 116
[10] القصص القرآني في الشعر الأندلسي: 164
[11] نفح الطيب: 285/4 ، والمغرب في حلى المغرب: 38/2
[12] بغية الملتمس: 545

**هو بيـن الناس غضـ  بانٌ وفي الخلوةِ راضي**

**فمتى ينتصـفُ المظ  لـوم والظالـمُ قـاضي**

وكذلك نجده عند أم العلاء الحجارية من القرن الخامس بقولها[13]: [ من المديد]

**كلّ ما يصدر منكم حسـنُ  وبعلياكـم تحلّى الزمـنُ**

**تعطفُ العينُ على منظركم  وبـذكـراكـم تلـذّ الأذنُ**

**مَن يعشْ دونكم في عُمرهِ  فهو في نيل الأماني يُغبَنُ**

وغيرهن من مثل زينب المرية والغسانية البجانية، إذ كان شعرهن يعبر عن وجد وشوق للحبيب، وما يلاقينه من عذاب الصدّ والبعد والهجران .

أما الغزل الصريح فقد كان سمة شواعر الأندلس، فكنّ " يفصحن عن حبهن وعشقهن لمن أحببن دون خوف أو خجل"[14]، وهذه الظاهرة تعد من أبرز سمات غزل النسوة الأندلسيات، وقلما وجدت مثلها في المشرق، ولهذا تمتعت شواعر الأندلس بمساحة واسعة من الحرية والانفتاح ما ميّز شعرهن من غيرهن، وإن الكثير منهن قد أطلقن عنان خيالهن في الغزل دون وجل أو احتشام. وأكثر ما يتبدى ذلك في شعر ولادة بنت المستكفي التي صورها مؤرخو الأدب الأندلسي على أنها فتاة أرستقراطية عابثة، حرة، تميل إلى التمتع بمباهج الحياة والترف، اتخذت قصرها في قرطبة منتدى أدبيا خصيبا، يقصده الكتاب والشعراء والوزراء والعلماء والقضاة، وفيه قال ابن بسام: " وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها؛ تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب. على أنها - سمح الله لها وتغمد زللها - اطرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها"[15]. ولها مع الوزير ابن زيدون قصة حب معروفة، ومما قالت له حين غمرها حبه وتملك قلبها[16]: [ من الطويل]

**ترقّب إذا جنّ الظلامُ زيـارتي  فإنّي رأيت اللـيلَ أكتـمَ للسـرِّ**

**وبي منك لو كان بالبدر ما بدا  وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسْرِ**

ولم تكن ولادة وحيدة الأندلس، بل برزت إلى جانبها شواعر كثيرات كان لهن قسط من الحرية أيضا من مثل حفصة الركونية، التي تعد من أبرز شواعر الغزل التي قصرت جل شعرها على صاحبها الوزير أبو جعفر، ورسمت بشعرها تجربتها مع من تحب من غير أن يحول الوقار بينها وبين التعبير عن هذه التجربة، من ذلك قولها[17]: [ من الخفيف]

**زائـرٌ قد أتى بجيـد الغزال  مطلعٌ تحت جنحِهِ للهلالِ**

[13] نفح الطيب: 169/4 ، ونزهة الجلساء: 22
[14] الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة:124
[15] الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: 429/1
[16] نفسه: 430/1
[17] نفح الطيب: 179/4

**من لحاظٍ من سحر بابل صيغت ورضابٍ يفوق بنتَ الدوالي**

ولا يخفى أثر البيئة الأندلسية وطبيعتها الخلابة في غزل حفصة، إذ شبهت قده بجيد الغزال وطلعته بمطلع الهلال ورضابه بالعنب. ومن رقيق شعرها[18] : [ من الوافر]

**أغار عليك من عينيّ رقيبي ومنك ومن زمانك والمكانِ**

**ولو أني خبأتُك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني**

لقد استطاعت بشعرها هذا أن تأسر قلوب سامعيها، وذلك من خلال تمثيل طبيعة المرأة العاشقة الغيورة وخصوصا على من تحب لشدة ما تعاني من ألم الهوى وحرقة الصبابة.

لقد تغزلت المرأة الأندلسية، وأبدعت في غزلها، إذ باحت بالحب والشوق بأبيات صورت فيها عاطفتها على نحو أخّاذ، يثبت أنها وقعت في تجربة الحب، وامتازت بالرقة والدماثة وإبراز مفاتنها وبيان سحرها، كما مزجت غزلها في كثير من الأحيان بالطبيعة وهذا يدل على ما للبيئة الأندلسية من أثر بالغ في شعرها.

أما في غرض المديح فقد سارت الشاعرة الأندلسية على خطى شعراء المدح، حيث اتخذت الشعر وسيلة للتقرب من الولاة والخلفاء، تمدحهم بهدف التكسب والوصول إلى حاجاتها، فهذه حسانة التميمية تكتب إلى الحكم بعد موت أبيها، تخبره أنها أصبحت وحيدة، ولا معيل لها إلا هو، ثم مدحته فقالت[19]: [ من البسيط ]

**إنّي إليك أبا العاصي موجعةٌ أبا المخشيّ سقتهُ الواكفُ الديمُ**

**قد كنتُ أرتَعُ في نعماه عاكفةً فاليومَ آوي إلى نعماك يا حكمُ**

**أنت الإمامُ الذي انقاد الأنامُ له وملّكته مقاليدَ النّهى الأممُ**

أما حفصة الركونية فقد تميزت بالجرأة والقوة وعدم الرضوخ للضيم، وبشعرها الجيد وتفننها فيه، دخلت مرة على الخليفة عبد المؤمن بن علي، فأنشدته ارتجالا بين يديه[20]: [ من المجتث ]

**يا سيّد الناس يا من يؤمّل الناسَ رفدُهْ**

**أمنن عليّ بِطِرسٍ يكون للدهرِ عدَّهْ**

**تخطُّ يُمناك فيه الحمد لله وحدَهْ**

وأشارت بذلك إلى العلامة السلطانية عند الموحدين، إذ يكتب السلطان بخط يده في الأعلى: الحمد لله وحده[21]. وبهذا تكون المرأة الأندلسية قد شاركت الشعراء الرجال دخولهم قصور الخلفاء وبلاطهم، مما يعد مظهرا من مظاهر المشاركة في الحياة السياسية بمساندة الحكام وتوطيد حكمهم.

[18] نفح الطيب:176/4
[19] نفسه:167/4
[20] نفسه: 177/4 ، ونزهة الجلساء : 42
[21] نفح الطيب: 172/4

كما اتسع نفوذها الشعري وقوي سلطانها، وأصبحت تسمح لنفسها بمخاطبة الحاكم والارتجال أمامه بسهولة ودون تحرج، فها هي عائشة القرطبية التي امتازت بالفصاحة والبلاغة، دخلت على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ابن له، فارتجلت تحيّه وتجعلها مناسبة لمدحة فقالت[22] : [ من الوافر]

**أراكَ الله فيهِ ما تُريــدُ ولا برحتْ معاليهِ تزيـدُ**

**وكيفَ يخيبُ شبلٌ قد نمتهُ إلى العليا ضراغمُه أسودُ**

**فسوف تراه بدرًا في سماءٍ من العليا كواكبُه الجنـودُ**

**فأنتم آل عامرَ خيـرُ آلٍ زكا الأبناءُ منكم والجدودُ**

وتتجلى مشاركتها في الحياة السياسية، إذ تكشف بعض المقطوعات الشعرية عن جرأتها أمام الحكام والملوك في كشف تجاوزاتهم وفي التنبيه إلى ظلم عمالهم. فها هي الشلبية تلاحظ استبداد صاحب الخراج في بلدها شلب، فتكتب للخليفة الموحدي يعقوب المنصور: [ من الكامل ]

**قد آنَ أن تبكي العيونُ الآبيـة ولقد أرى أن الحجارة باكيةْ**

**يا قاصدَ المصر الذي يُرجى بِه إنْ قدّر الرحمنُ رفعَ كراهيةْ**

**نـادِ الأميـرَ إذا وقفـتَ ببابِـهِ يا راعياً إنّ الرعيّـة فانيـة**

**أرسلْتَها هملاً ولا مرعى لـها وتركتَها نهبَ السّباعِ العادية**

**شلبٌ كلا شلبٍ، وكانت جنـة فأعادها الطاغون ناراً حاميَة**

**خانـوا وما خافـوا عقوبة ربهم والله لا تَخفى عليه خافيـة**

ويذكر المقري" إنها ألقيت يوم الجمعة على مصلى المنصور، فلما قضى الصلاة وتصفحها بحث عن القصة فوقف على حقيقتها، ورفع الظلم عن المدينة، وأمر للمرأة بصلة"[23].

وعندما تتعرض الشاعرة لمظلمة فإنها تشكوها إلى الخليفة على النحو الذي فعلته حسانة التميمية عندما شكت والي البيرة جابر بن لبيد لعبد الرحمن بن الحكم، وتوسلت له بخط أبيه الحكم، ثم أنشدته: [ من الطويل]

**إلى ذي النّدى والمجدِ سارت ركائِبي على شحـطٍ تَصلى بنارِ الهَواجِرِ**

**ليجبـرَ صَدعي إنّـه خيـرُ جابـرٍ ويمنعني من ذي الظلامـةِ جابـر**

**فـإنّي و أيتامي بقبضـةِ كفِّـه كذي ريشٍ أضحى في مخالبِ كاسر**

ولما فرغت رفعت إليه خط والده، فقبله ووضعه على عينيه، وقال: "تعدى ابن لبيد طوره، ... انصرفي يا حسانة فقد عزلته لك" فانصرفت وبعثت إليه بقصيدة منها[24]: [ من البسيط ]

[22] نزهة الجلساء: 62، ونفح الطيب : 290/4
[23] نفح الطيب:294/4

**ابن الهشامينِ خيرُ الناسِ مأثرةً وخيـرُ منتجعٍ يومـاً لـروادِ**

**إن هزَّيوم الوغى أثناء صعدته روى أنابيبها من صرف فرصادِ**

**قل للإمام أيا خير الورى نسباً مقابلاً بينَ أبـاءٍ وأجـدادِ**

لقد أبدعت الشاعرة الأندلسية في فن المديح، وخلعت على ممدوحها كل الصفات المحمودة من الخير والفضل وحسن الأصل والنسب، كما وشته أناملها بكلمات وعبارات تثري هذا الفن الندي الجميل.

وفضلا عن ذلك فقد تمدحت بخصالها أي انتقلت بشعرها إلى الفخر، لأنها وجدت فيه متنفسا للتعبير عن كبريائها والمباهاة بنفسها، لاسيما إذا ما تمتعت بنفوذ سياسي واجتماعي عريق، من مثل ولادة بنت المستكفي التي افتخرت بعفتها وتمسكها بمبادئ الإسلام فقالت[25]: [ من الكامل ]

**إنّي وإنْ نظـرَ الأنـامُ لبَهجتي كظباءِ مكةَ صيدهُنَّ حـرامُ**

**يحسبْنَ من لين الكلام فواحشا ويصدهنَّ عن الخَنا الإسلامُ**

أما نزهون بنت القلاعي الغرناطية فقد افتخرت بجمالها وبهائها بقولها للأعمى المخزومي[26]:[ من الكامل]

**لو كنتَ تبصرُ من تكلّمه لغدوتَ أخرسَ من خلاخِلِهِ**

**البـدرُيطلـعُ في أزِرّتِهِ والغصنُ يمـرحُ في غلائلِه**

ولعلها في كثير من الأحيان حاولت الكشف عن صورتها المثقفة، فافتخرت بموهبتها، وتباهت باكتساب مهارات وخبرات عدة، مثل القدرة على الكتابة فهذه الشاعرة صفية بنت عبدالله الربّي تفتخر بحسن خطها وجماله بعد أن عابت امرأة خطها فقالت[27]: [ من الطويل]

**وعائبةٍ خطّي فقلتُ لها اقصري فسوف أريك الدرّفي نظمِ أسطري**

**ونـاديتُ كفّي كي تجودَ بخطّها وقرّبت أقلامي ورِقّي ومحبـري**

وبهذا كان الفخر فطرة لدى شواعر الأندلس، يسترحن إليه كلما دعت الحاجة إلى تأكيد جمالهن وإبداعهن وتميزهن، فجاء فخرهن صادقا واقعيا معتزا بقيمهن ونسبهن وذواتهن.

ولعل أكثر ما تكون مشاعر المرأة صادقة وهي في حالة الضعف والجزع، لذلك أجادت الشاعرة الأندلسية فن الرثاء والبكاء واللوعة والأسى، إذ وقفت أمام الموت بمشاعر مرهفة ودمعة سخية، وعاطفة صادقة لأنها ارتبطت بتجربة حقيقية بعيدة عن الخيال، فهذه حفصة الركونية حين بلغها مقتل حبيبها أبي جعفر لبست الحداد، وجهرت بالحزن، وتوعّدت بالقتل، فقالت في ذلك: [من الخفيف]

**هدّدوني من أجل لبسِ الحدادِ لحبيـبٍ أردوهُ لـي بالحـدادِ**

[24] نفسه: 168/4
[25] المرأة الأندلسية: 156
[26] نزهة الجلساء : 86
[27] الصلة: 694/2

**رحـمَ اللهُ مـن يجـودُ بدمعٍ أو ينـوحُ على قتيـلِ الأعـادي**

**وسـقتـهُ بمثـلِ جـود يديـهِ حيث أضحى من البلاد الغوادي**

وفيه كذلك قالت[28]: [ من الطويل]

**ولو لم يكـن نجماً لكـان ناظـري وقد غبتُ عنه مظلماً بعدَ نورِه**

**سلامٌ على تلك المحاسِنِ من شجٍ تناءتْ بنعماه وطيبِ سـرورِه**

والحق أن الشاعرة الأندلسية لم تترك فنا من فنون الشعر إلا وطرقته، حتى فن الهجاء، وعلى الرغم من قلة ما وصلنا منه إلا أنه عندها كان له طابع خاص، فلم تتعرض للأنساب مخالفة بذلك ما نهج عليه شعراء الهجاء بالمشرق ، بل غلبت عليه خفة الروح والنكتة اللاذعة، وحمل في معانيه السخرية وإظهار العيوب، والخلال السود حتى وصل الحال مع بعضهن إلى الفحش والفضيحة، لاسيما ما كان في القرنين الخامس والسادس، من مثل نزهون بنت القلاعي التي هجت هجّاء الأندلس وبشارها الأعمى أبو بكر المخزومي وردت عليه بأبيات أكثر بذاءة وأشد قذعا من هجائه فقالت[29]:[من المجتث ]

**قُـل للوضيـعِ مقالا يُتلى إلى حين يُحشرْ**

**حيثُ البداوةُ أمستْ في أهلِها تتبخترْ**

**لذاك أمسيتُ صبّاً بكـلّ شيءٍ مـدوّرْ**

**خلقتَ أعمى ولكن تهيمُ في كلّ أعـورْ**

**جازيتُ شعراً بشعرٍ فقل لعمري من أشعرْ**

أما ولادة فنجدها هجاءة بارعة حين خلعت ألقابا شائنة قبيحة على ابن زيدون، من ذلك قولها[30]: [من الوافر]

**ولُقّبتَ المسدسَ وهو نعتٌ تفارقك الحياةُ ولا يفارقُ**

**فلوطيٌّ ومأبـونٌ وزانٍ وديّوثٌ وقرنانٌ وسارقُ**

ولم يتوقف أمر الهجاء على التلاسن بين الجنسين، بل تعدى ذلك إلى السباب الواضح والشتيمة الصريحة بين شاعرتين، انفعلت إحداهما من الأخرى، فعبرت عن انفعالها بالهجاء وتناولت الأعراض والعورات والأقذاع، منها ما قالته مهجة القرطبية في هجاء ولادة بنت المستكفي مستوحية معاني الهجاء من معنى الاسم[31]:[من البسيط]

**ولادةُ قد صرتِ ولادةً من غير بعلٍ فضحَ الكاتمُ**

**حكتْ لنا مريمُ لكنّه نخلةُ هذي ..... قائـمُ**

وبهذا استطاعت الشاعرة الأندلسية استخدام هذا الفن للتسلية والسخرية واستمالة القلوب ولفت الأنظار حيث تتماجن الشاعرة وتعبث وتلهو بمصائر الآخرين وأقدارهم هازئة في سخفهم وعاهاتهم ونقائصهم.

[28] نفح الطيب: 176/4
[29] نفسه: 192/1 ، والإحاطة: 434/1
[30] نفح الطيب:205/4
[31] نفح الطيب: 293/4

وعلى الرغم من عاطفية الشاعرة الأندلسية إلا أنها لم تبتعد عن الحكمة والموعظة بعض الأحيان، وإن كان ذلك" لا يعدو عن كونه تجربة بسيطة أو حكمة مقتبسة من غيرها، وقد وجدنا بعض الشواعر الأندلسيات قد صدرت عنهن الحكمة في ألوان متعددة ونواح مختلفة واتجاهات متباينة، ...لا تظهر في أكثر من بيت أو بيتين، أو مقطعات صغيرة تتحدث عن فكرة صغيرة"[32]، فهذه أم العلاء الحجارية عشقها رجل أشيب فكتبت إليه[33]: [من السريع]

**يا صبحُ لا تُبدِ إلى جنـح  والليلُ لا يبقى مع الصبحِ**

**الشيبُ لا يخدعُ فيه الصَّبا  بحيلةٍ فاسمع إلى نُصحي**

**فلا تكن أجهلَ مَن في الورى  تَبيتُ في الجَهلِ كما تُضحي**

وتلك الشاعرة مريم بنت أبي يعقوب الفصولي، كانت تعلم النساء الأدب وتحتشم لدينها وفضلها، وعمرت عمراً طويلاً ، تقول[34]:[من الطويل]

**وما تَرتجي من بنتِ سبعين حجةً  وسَبعٍ كنسجِ العنكبوتِ المُهلهَلِ**

**تدبُّ دبيبَ الطفلِ تسعى إلى العصا  وتمشي بها مشيَ الأسيرِ المكبّل**

ويبدو أن الحكمة لازمت المرأة الأندلسية في مرحلة متقدمة من العمر، حيث يصل فيه الإنسان -في كثير من الأحيان- إلى الزهد عن متع الحياة والترفع عن حقيرها، وتصغر في عينه العظائمُ من الأمور وجِسامُها .

وأما الوصف فكان من أكثر الأغراض الشعرية التي عنيت به شواعر الأندلس، وإن لم يظهر في شعرهن كغرض مستقل، إلا أنه ظهر من خلال المدح والغزل وغيرهما، وقد " ظهر تأثر الطبيعة في جميع مواضيع شعر المرأة الأندلسية، فلا نكاد نقرأ قصيدة أو مقطوعة شعرية سواء أكانت في الوصف أم الرثاء أم المديح أم غير ذلك إلا ونلمح آثار الطبيعة في مخيلة الشاعرة على نحو واضح ونلمس تعلقها بها في ثنايا التعابير المجازية والتشبيهات والاستعارات"[35]. فهن لم يذكرن الحب إلا في رحاب الطبيعة، لذلك عني شعرهن بتصوير الطبيعة وتشخيصها على نحو يبث الحركة والحياة فيها. ويتجلى هذا واضحا في شعر حمدة بنت زياد تصف الرملة في نواحي وادي آش وصفا بارعا مشخصة بيئتها الجميلة ومبرزة محاسنها ومتعة التنزه في رياضها، تقول[36]: [من الوافر]

**وقانا لفحةُ الرمضاءِ وادٍ  سقاه مضاعفُ الغيثِ العميمِ**

**حَلَلنا دوحَـهُ فحَنا علينا  حُنوَّ المرضعاتِ على الفطيمِ**

**وأرشفنا على ظمإ زلالاً  ألـذَّ من المدامةِ للنديـمِ**

**يصدُّ الشمسَ أنّى واجهتنا  فيحجبُها ويأذنُ للنسيـمِ**

[32] نساء من الأندلس: 29-30
[33] نزهة الجلساء: 27
[34] جذوة المقتبس: 412/1
[35] شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين:34
[36] نفح الطيب: 288/4

**يروعُ حصاهُ حاليةَ العذارى فتلمسُ جانبَ العقدِ النظيمِ**

ولأم العلاء البربرية وصف لأحد الوديان الأندلسية ، وهو يهفو في كف الرياح، كالأعلام ترفرف على خفقات النسيم ، قالت [37] : [من مجزوء الرجز]

**للهِ بستانيٌّ إذا يهفو به القصبُ المُندّى**

**فكأنّما كفُّ الرّيا حِ قد أسندت بَنْدًا فبَنـدا**

وبهذا نجد أن الطبيعة الساحرة كان لها أثر كبير في شواعر الأندلس ورفاهة حسهن ورقة تصويرهن وسعة خيالهن .

**خاتمة:**

لقد تبيّن لنا أن شواعر الأندلس فرضن وجودهن في الحياة الأدبية، إذ تعددت أغراضهن الشعرية وتنوعت، وكان للغزل الحظ الأوفى من شعرهن لارتباطه بطبيعة المرأة الميالة إلى القلب والعاطفة. كما تنوع شعرهن بين قصائد ومقطعات، كانت تحمل من الجودة والرصانة وحسن السبك وعذوبة الموسيقا ما يبعث على الاعتقاد بأن النتاج الشعري الذي لم يصل إلينا كان على مستوى عال من الفن الشعري وجمالياته.

والحق أن المادة الشعرية للمرأة الأندلسية لم تصلنا كاملة، بل ضاع جزء كبير منها، حيث وجدت مفارقات بين حديث المصادر عن طول القطعة المنسوبة إلى الشاعرة منهن وبين عدد الأبيات التي وصلتنا، كذلك إن مؤرخي الأدب، وقد ارتبط معظمهم بالطبقة الحاكمة، لم يدونوا شعر النساء كله أو بعضه، وكان لهم موقف خاص بشأنهن، إما لتعصب ديني مقرون بالجهل، أو لإهمال متعمد جعلهم لا يذكرون شعرهن ولا انتمائهن أو تاريخ ولادتهن، حتى إن صاحب المُغرب الذي يرى أن حفصة الحجارية شاعرة مكثرة وأن بلدها يفخر بها، لم يذكر لها سوى أربعة أبيات[38]. وتبقى كمال الصورة مرتهنة بالحصول على الصورة الأوفى لشعرهن وأدبهن.

أما بالنسبة إلى ما وصلنا من الشاعرتين ولادة بنت المستكفي وحفصة الركونية فكان كثيرا بالمقارنة مع غيرهن من الشواعر، ذلك لأن شعرهما ارتبط بشخصيتين معروفتين في الساحة الأدبية والسياسية، فالأولى حبيبها الوزير ابن زيدون، والثانية الوزير أبو جعفر بن سعيد.

ومهما يكن من أمر المدونة الشعرية للمرأة الأندلسية، وإخضاعها لأذواق المؤرخين ومواقفهم وتصوراتهم عن المرأة، وسكوتهم عن إنتاجها الشعري في كثير من الأحيان، فإن ما وصلنا من شعرهن يدل على وفرة عددهن وقوة أسلوبهن، مما شكل ملمحا بارزا من ملامح الشعر الأندلسي وثقافة العصر.

كما يتضح جليّا أن المرأة الأندلسية ساهمت في بناء صرح الأدب الأندلسي وتنميقه وتزيينه، وأثرت مجالسه بالمناظرات والمساجلات والمطارحات، ساعدها على ذلك مباهج الحضارة الراقية التي غلفت جو الأندلس بزخرفها، ناهيك بجمال

[37] المغرب في حلى المغرب: 38/3
[38] ينظر المغرب في حلى المغرب: 37/2

البيئة الأندلسية التي أسرت الألباب بسحرها، وانعكست في شعرهن، وأضفت عليه روحا أندلسية ناعمة ورقة متناهية جعلت الشواعر ينطقن برقائق الأشعار، وطلاوة الألفاظ، وعذوبة الإيقاع، وجمال الصورة الفنية.

---

**قائمة المصادروالمراجع:**

1) ابن أبي أصيبعة. أحمد بن سديد الدين القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، دار الفكر، بيروت 1957م.
2) ابن بسام. علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ط2 الدار العربية للكتاب، ليبا – تونس 1981م.
3) ابن بشكوال. خلف بن عبد الملك، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عناية: عزت العطار الحسيني، ط2، مكتبة الخانجي 1955م.
4) بهجت. منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار الكتب للطباعة والنشر، العراق 1988م.
5) جلبي.علي عبد الرزاق وآخرون، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2016م.
6) جمعة. أحمد خليل، نساء من الأندلس، دار اليمامة ، دمشق 2001م.
7) الحميدي.محمد بن فتوح، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة 1966م.
8) الربيعي. أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، وزارة الثقافة، دار الشؤون الثقافية، بغداد2001م.
9) ابن سعيد المغربي.علي بن موسى، المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط3 دار المعارف، مصر 1954م.
10) السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، نزهة الجلساء في أشعار النساء، تح: صلاح الدين المنجد، ط2 دار الكتاب الجديد، بيروت 1978م.
11) الشكعة. مصطفى، الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده، دار النهضة العربية، بيروت 1972م.
12) الضبي. أحمد بن يحيى بن عميرة، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة 1967م.
13) ضيف . شوقي، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات (الأندلس) ، ط5 دار المعارف، القاهرة 2009م.
14) عباس. دلال، المرأة الأندلسية، مرآة حضارة، ط1 شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت2019م.
15) كريم. واقدة يوسف، شعر المرأة الأندلسية من الفتح إلى نهاية عهد الموحدين، رسالة ماجستير بإشراف: عبد الجبار سالم، جامعة تكريت، العراق 2003م.
16) لسان الدين بن الخطيب. محمد بن عبدالله، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبدالله عنان، دار المعارف، مصر 1955م.
17) المقري. أحمد بن محمد شهاب الدين، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ط2 دار صادر، بيروت 1997م.